ما يحب الله
وما يبغض
من الأمور

ما يحب الله من الأمور

يحب الله معالي الأمور وأشرافها

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يحب معالي الأمور، وأشرافها**»[1].

معالي الأمور وأشرافها: يأتي في مقدمة معالي الأمور وأشرافها: الأمور الدينية؛ وهي كل أمر أَمَرَ الله به في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ، ومن ذلك: أركان الإسلام الخمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، الصلاة، الزكاة، صوم رمضان، الحج. ومنها النوافل: السنن القبلية والبعدية وقيام الليل وصلاة الضحى وغيرها. وذكر الله والصدقة.

وكذلك الأخلاق الشرعية والخصال الدينية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآداب المعاملة بين الناس، وآداب اللسان، قال الله تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[2].

فمن اتصف من عبيده بالأخلاق الزكية أحبه. وشرف النفس صونها عن الرذائل والدنايا والمطامع القاطعة لأعناق الرجال فيربأ بنفسه أن يلقيها في ذلك. إن العبد إنما يكون في صفات الإنسانية التي فارق بها غيره من الحيوان والنبات والجماد بارتقائه عن صفاتها إلى معالي الأمور وأشرافها التي هي صفات الملائكة، فحينئذ ترفع همته إلى العالم الرضواني وتنساق إلى الملإ الروحاني. قال بعض الحكماء: بالهمم العالية والقرائح الزكية تصفو القلوب إلى نسيم العقل الروحاني وترقى في ملكوت الضياء والقدرة الخفية عن الأبصار المحيطة بالأنظار وترتع في رياض الألباب المصفاة من الأدناس، وبالأفكار تصفو كدر الأخلاق المحيطة بأقطار

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٩٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٤.

الهياكل الجسمانية فعند الصفو ومفارقة الكدر تعيش الأرواح التي لا يصل إليها انحلال ولا اضمحلال[1].

والإنسان يضارع الملك بقوة الفكر والتمييز؛ فمن صرف همته إلى اكتساب معالي الأخلاق وأشرافها أحبه الله تعالى فحقيق أن يلتحق بالملائكة لطهارة أخلاقه.

يحب الله معالي الأخلاق

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب معالي الأخلاق**»[2].

معالي الأخلاق: قال الله تعالى عن رسوله «محمد ﷺ»: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[3]. وقال ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[4].

إن أحسن الأخلاق ومعاليها من كمال الإيمان، قال المصطفى عليه الصلاة والسلام: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا**»[5]، وقد ذكر الله تعالى في كتابه صفات المؤمنين التي هي من معالي الأخلاق، ومنها: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾[6].

﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ**﴾[7].

---

(١) المناوي: فيض القدير ٢/٢٩٥-٢٩٦.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٨٩.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: ٤٥.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٩١٦.

(٦) سورة المؤمنون، الآيات: ١-٩.

(٧) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[1].

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2].

وكذلك وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق ومعاليها، ومنها: أن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويصل رحمه، ويكرم ضيفه، وإما يقول خيرًا وإما يسكت، ويعرض عن الجاهلين، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ولا يؤذي جاره، ولا يروع مسلمًا، ولا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، ولا يكشف سر أخيه، ولا يكون فاحشًا ولا متفحشًا، ولا طعانًا ولا لعانًا، ولا نمامًا، ولا مغتابًا..

ومن معالي الأخلاق: الصبر، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، والعفة، والحياء، والشجاعة، وعزة النفس، والبذل والندى، والعدل، والجود والسخاء.

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢-٤.

(٢) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣-٧٤.

يحب الله العفو

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عفو يحب العفو**»[1].

قال الله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[4].

العفو[5]: إن معنى العفو أن يستحق حقًا فيسقطه ويبري عنه من قصاص أو غرامة، والعفو: ترك المؤاخذة بالذنب، والصفح: إزالة أثره في النفس. و(العفو) اسم من أسماء الله الحسنى.

مدح الله تعالى الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم فقال: ﴿**وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾[6]، وأثنى على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وأخبر أنه يحبهم بإحسانهم في ذلك. وقال تعالى: ﴿**إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا**﴾[7]، فندب الله -عزَّ وجلَّ- إلى العفو ورغَّب فيه.. وأن العفو مما يقرب العبد عند الله ويجزل ثوابه لديه. والعفو من صفة الله تعالى وهو يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم. وقال تعالى: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[8]، فالجزاء من جنس العمل، فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك، وكما تصفح يصفح عنك.

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٧٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

(٥) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/١٣٤، ٦/٥، ١٦/٢٤-٢٧، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٦/١٤١-١٤٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٥٨٥، ٣/٢٨٦، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٣/٩٥، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٦/١٤٠.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٣٧.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٤٩.

(٨) سورة النور، الآية: ٢٢.

وحث رسول الله ﷺ على كظم الغيظ والعفو عن الناس وملك النفس عند الغضب وذلك من أعظم العبادة وجهاد النفس؛ فقال ﷺ: «**ليس الشديد بالصُرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[1]. وقال ﷺ: «**ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله، من جرعة غيظ، كظمها عبد ابتغاء وجه الله**»[2]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**من كظم غيظًا، وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عزَّ وجلَّ على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره الله من الحور ما شاء**»[3]. أي؛ شهره بين الناس وأثنى عليه وتباهى به، حتى يجعله مخيرًا في أخذ أي الحور العين، وهو كناية عن إدخاله الجنة المنيعة وإيصاله الدرجة الرفيعة. فكظم الغيظ قهر للنفس الأمارة بالسوء ومن نهى نفسه عن هواها فإن الجنة مأواه والحور العين جزاه؛ وهذا الثناء الجميل والجزاء الجزيل إذا ترتب على مجرد كظم الغيظ فكيف إذا انضم العفو إليه أو زاد بالإحسان عليه.

قال المصطفى ﷺ: «**ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا**»[4]. فيه وجهان: أحدهما أنه على ظاهره وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه، والثاني أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك... وقد يكون المراد الوجهين معًا في جميعها في الدنيا والآخرة.

فصاحب العفو يتجاوز ويحلم عمن ظلمه، ويكظم غيظه ويسكت عليه ولا يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه، ويشفق على ظالمه، ويصفح لمن جهل عليه، يطلب بذلك ثواب الله تعالى وعفوه. قال تعالى: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾[5] قال ابن عباس: من ترك القصاص وأصلح بينه وبين الظالم بالعفو ﴿**فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ أي؛ أن الله يأجره على ذلك وهذا من محاسن الأخلاق، ومن أجلِّ ضروب فعل الخير.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣٧٧.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٩٩٧.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

يحب الله الرفق

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»[(١)]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**»[(٢)].

الرفق[(٣)]: في هذه الأحاديث فضل الرفق والحث على التخلق به وذم العنف، والرفق سبب كل خير، و«**من يُحرَم الرفق يُحرَم الخير**»[(٤)]. وقوله «**إن الله رفيق**» أي؛ لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، فلا يكلفهم فوق طاقتهم «**ويعطي على الرفق**» أي؛ يثيب عليه ما لا يثيب على غيره. ويعطي عليه في الدنيا من الثناء الجميل ونيل المطالب وتسهيل المقاصد، وفي الآخرة من الثواب الجزيل ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه.

والرفق محمود ويضاده العنف والحدة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة، فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق. وقيل: الرفق أن تضع الأمور في مواضعها: الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه؛ وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق. فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر؛ فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف، وإن كان العنف في محله حسنًا كما أن الرفق في محله حسن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا. قيل: ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الرفق في الأمر كله.

(٢) أخرج مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق.

(٣) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ١٨٤/٣-١٨٦، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٤٥/١٦، وعون المعبود للعظيم آبادي ١١٢/١٣.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق.

فالرفق محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور، وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل أمر حقه، فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجاح معه في الأكثر. فقد قال المصطفى ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزَعُ من شيء إلا شانه**»[(١)].

يحب الله المدح

قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحد أحب إليه المدح من الله عزَّ وجلَّ، من أجل ذلك مدح نفسه**»[(٢)].

مَدْح الله[(٣)]: مدح الله - سبحانه وتعالى - هو الثناء بذكر أوصاف الكمال والأفضال.. وقد أثنى الله سبحانه بالحمد على نفسه، وافتتح كتابه بحمده فقال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[(٤)]، قيل: لما علم سبحانه عجز عباده عن حمده، حَمِدَ نفسه بنفسه لنفسه في الأزل؛ فاستفراغ طَوْق عباده هو محمل العجز عن حمده. ألا ترى سيد المرسلين كيف أظهر العجز بقوله: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[(٥)] معناه لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك.

وقوله ﷺ «**أنت كما أثنيت على نفسك**» اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصار والتعيين، فوكل ذلك إلى الله - سبحانه وتعالى - المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، وكما أنه

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش.

(٣) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٥/١، وشرح صحيح مسلم للنووي ٢٠٤/٤، ٧٧/١٧، وفتح الباري للعسقلاني ٤٠٠/١٣.

(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود.

لا نهايــة لصفاته لا نهاية للثناء عليــه؛ لأن الثناء تابع للمثنى عليه وكل ثناء أثنى به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم، وسلطانه أعز، وصفاته أكبر وأكثر، وفضله وإحســانه أوسع وأســبغ. وقيل: حَمِد نفسه في الأزل لما علم من كثرة نعمه على عبــاده وعجزهم على القيام بواجب حمده فحَمِد نفســه عنهم؛ لتكون النعمة أهنأ لديهم، حيث أسقط به ثقل المنَّة. وقيل: إن مدحه عزَّ وجلَّ لنفسه وثناءه عليها ليعلِّم ذلك عباده، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه؛ فكأنه قال: قولوا الحمد لله، وقيل: إن قول القائل: (الحمد لله) ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا.

والمــراد المدح مــن عباده بطاعته وتنزيهــه عما لا يليق به والثنــاء عليه بنعمه ليجازيهم على ذلك.. وحقيقة هذا مصلحة للعباد؛ لأنهم يثنون عليه سبحانه وتعالى فيثيبهم فينتفعون، وهو ســبحانه غني عن العالمين لا ينفعه مدحهم ولا يضره تركهم ذلك. وهذا تنبيه على فضل الثناء عليه ســبحانه وتعالى وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيــره وســائر الأذكار. وقد كان النبي ﷺ يذكر الله تعالــى ويثني عليه على كل أحيانه.

يحب الله العذر

قال رســول الله ﷺ: «**ليـس أحد أحب إليه العذر من الـلـه، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل**»[1].

العــذر[2]: لقد بعـث الله -عزَّ وجلَّ- المرســلين للإعــذار والإنذار لخلقه قبل أخذهم بالعقوبة؛ لأنه تعالى لا يهلك أمة بعذاب إلا بعد إرســال الرســل مبشــرين ومنذرين فيبشــرون من أطاع اللــه واتبع رضوانه بالخيرات، وينــذرون من خالف أمره وكذب رســله بالعقاب والعــذاب، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّـا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ**

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش.

(٢) راجع: تفســير القرآن العظيم لابن كثير ١/٦٠٢، ٣/٣١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/١٤، ومدارج الســالكين لابن القيم ١/٢٠١.

رَسُولاً ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[٢]، فيقولوا ما أرسلت إلينا رسولاً، وما أنزلت علينا كتابًا.

فالله -عزَّ وجلَّ- يحب الإعذار ومن تمام عدله وإحسانه أن أعذر إلى عباده، فلا يؤاخذ ظالمهم إلا بعد كمال الإعذار، ولا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه؛ ولهذا أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبيَّن ما يحبه ويرضاه، مما يكرهه ويأباه، لئلا يبقى لمعتذر عذر.

يحب الله الحلف به

قال رسول الله ﷺ: «**احلفوا بالله وبرُّوا واصدقوا، فإن الله يحب أن يحلفَ به**»[٣].

الحلف[٤]: هو القسم. يندب الله تعالى إلى الحلف باسم من أسمائه أو صفة من صفاته إذا كان الداعي للحلف مصلحة؛ لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشد به المواثيق، وأن يبرَّ ويصدق في الحلف، فإن الله يحب أن يحلف به ويرضاه إذا كان غرض الحالف طاعة كفعل جهاد أو وعظ أو زجر عن إثم أو حث على خير، وقد حكى الله تعالى عن يعقوب عليه الصلاة والسلام أنه طلب من بنيه الحلف حين التمسوا إرسال أخيهم معهم، فهو إذن منه في ذلك ولا يأذن إلا فيما هو محبوب مطلوب.

ويستحب الحلف ولو بغير تحليف لمصلحة كتوكيد مبهم وتحقيقه ونفي المجاز عنه وقد كثرت الأخبار الصحاح في حلف المصطفى ﷺ في هذا النوع لهذا الغرض؛

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢١١.

(٤) راجع: فيض القدير للمناوي ٢٠٠/١، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٠٥/١١، وعون المعبود للعظيم آبادي ٥٦/٩، وفتح الباري للعسقلاني ٥٣١/١١.

فعن عبد الله قال: «**أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف: لا ومقلب القلوب**»(١)، وعن رفاعة الجهني؛ قال: كان النبي ﷺ إذا حلف قال: «**والذي نفس محمد بيده**»(٢).

أما الحلف بغير الله فهو مذموم ومنهي عنه؛ وقد ابتدع الناس في هذا الباب في إسلامهم جاهلية جديدة وذلك أن الواحد لو أقسم بأسماء الله تعالى كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه حتى يقسم بحاكم بلاده أو بشيخه أو بأبيه أو بأمه أو بحياته أو بشرفه أو بشاربه...! وذلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءه حلف لحالف. وقد قال النبي ﷺ: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله، أو ليصمت**»(٣).. وسمع ابن عمر رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»(٤)؛ قال النووي: يكره الحلف بغير أسماء الله تعالى وصفاته سواء في ذلك النبي ﷺ والكعبة والملائكة والأمانة والحياة والروح وغيرها ومن أشدها كراهة الحلف بالأمانة... قال العلماء: الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى به غيره. وظاهره تخصيص الحلف بالله خاصة، لكن قد اتفق الفقهاء على أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته العلية.

وعلى الحالف أن يبر ويصدق في حلفه كما أمر رسول الله ﷺ: «**من حلف بالله فليَصْدُق**»(٥)، «**لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون**»(٦)، فإن لم يصدق في حلفه لقي الله وهو عليه غضبان كما أخبر النبي ﷺ: «**من حلف على يمين يستحق بها مالاً وهو فيها فاجر**

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: مقلب القلوب.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٢٤١.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٠٨.

(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٧٨٤.

لقي الله وهو عليه غضبان»[1]؛ وقد توعد الله تعالى من يفعل ذلك بالعذاب الأليم فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

يحب الله الحلم والأناة

قال رسول الله ﷺ: **«إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»**[3].

الحلم: الحلم هو صحة العقل واستيلائه، وجودة النظر للعواقب، وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل.. والحليم: الكثير الحلم، وهو الذي يصفح عن الذنوب ويصبر على الأذى. وقيل: الذي لم يعاقب أحدًا قط إلا في الله ولم ينتصر لأحد إلا لله. و(الحليم) اسم من أسماء الله الحسنى.

والحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد.. وحدّ الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب، وهذا يكون عن باعث وسبب. وأسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس عشرة: **أحدها**: الرحمة للجهال، وذلك من خير يوافق رقة. وقد قيل في منثور الحكم: من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهال. **والثاني**: من أسباب القدرة على الانتصار، وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة. **والثالث**: من أسبابه الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة. **والرابع**: من أسبابه الاستهانة بالمسيء، وذلك عن ضرب من الكبر والإعجاب كما حكي أن رجلاً أكثر من سب الأحنف وهو لا يجيبه فقال: والله ما منعه من جوابي إلا هواني عليه، وفي مثله يقول الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت
سكتُّ عن السفيه فظنَّ أني ... عييت عن الجواب وما عييت

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرهن، باب: إذا اختلف الراهن والمرتهن ونحوه.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ.

والخامس: من أسـبابه الاسـتحياء من جزاء الجواب، وهـذا يكون من صيانة النفس وكمال المروءة. **والسادس**: من أسـبابه التفضل على السَّبَّاب، فهذا يكون من الكرم وحب التألف. **والسابع**: من أسـبابه استنكاف السباب وقطع السباب، وهذا يكون من الحزم. **والثامن**: من أسبابه الخوف من العقوبة على الجواب، وهذا يكون من ضعف النفس وربما أوجبه الرأي واقتضاه الحزم. **والتاسع**: من أسبابه الرعاية ليد سالفة وحرمة لازمة، وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد. **والعاشر**: من أسبابه المكر وتوقع الفرص الخفية، وهذا يكون من الدهاء. فهذه عشـرة أسباب تدعو إلى الحلم، وبعض الأسـباب أفضل من بعض وليس إذا كان بعض أسـبابه مفضولاً ما يقتضي أن تكون نتيجته من الحلم مذمومة، وإنما الأولى بالإنسـان أن يدعوه للحلم أفضل أسبابه وإن كان الحلم كله فضلاً[(١)].

الأناة[(٢)]: الأناة هي التؤدة، والتأني، والتثبت، وترك العجلة، والنظر في المصالح، قال رسول الله ﷺ: «**التؤدة في كل شيء خير، إلا في عمل الآخرة**»[(٣)]، أي: التأني في كل شـيء من الأعمال خير مستحسن محمود إلا في عمل الآخرة فإنه غير محمود فيه بل الحزم بذل الجهد فيه لتكثير القربات ورفع الدرجات؛ لأن في تأخير الخيرات آفـات. وقال عليه الصلاة والسـلام: «**التأني من الله، والعجلة من الشيطان**»[(٤)]؛ العجلة من الشـيطان، أي: هو الحامل عليها بوسوسته؛ لأن العجلة تمنع من التثبت والنظر في العواقب وذلك موقع في المعاطب، وذلك من كيد الشـيطان ووسوسـته. قال ابن القيم: إنما كانت العجلة من الشـيطان؛ لأنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم وتوجب وضع الشيء في غير محله وتجلب الشرور وتمنع الخيور وهي متولدة بين خلقين ذميمين التفريط والاستعجال قبل الوقت. قال عمرو بن العاص: لا يزال المرء يجتني من ثمرة العجلة الندامة.

---

(١) الماوردي: أدب الدنيا والدين ٢٦١-٢٦٥.

(٢) راجـع: تحفـة الأحوذي للمباركفـوري ٦/١٢٧-١٢٩، وعون المعبود للعظيم آبـادي ١٣/١١٤، وفيض القدير للمناوي ٣/٢٧٧.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٠٩.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠١١.

ثم العجلة المذمومة ما كان في غير طاعة ومع عدم التثبت وعدم خوف الفوت. ولهذا قيل لأبي العيناء: لا تعجل فالعجلة من الشيطان، فقال: لو كان كذلك لما قال موسى: وعجلت إليك رب لترضى. والحزم ما قال بعضهم: لا تعجل عجلة الأخرق ولا تحجم إحجام الواني الفرق. قيل: ويستثنى من ذلك ما لا شبهة في خيريته، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[1]. وهناك فرق بين المسارعة والمبادرة إلى الطاعات، وبين العجلة في نفس العبادات، فالأول محمود والثاني مذموم.

وقال ﷺ: «**السمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة**»[2]، أي: أن هذه الخصال من شمائل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنها جزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها... وقيل: يحتمل أن يكون معناه أن هذه الخلال مما جاءت به النبوة ودعا إليها الأنبياء. وقيل: معناه أن من جمع هذه الخصال لقيه الناس بالتوقير والتعظيم، وألبسه الله لباس التقوى الذي ألبس أنبياءه عليهم الصلاة والسلام. فكأنها جزء من النبوة.

يحب الله الحياء والستر

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ حَيي ستِّير يحب الحياء والستر**»[3].

قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ والحياء شعبة من الإيمان**»[4]. وقد «**كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها**»[5].

الحياء[6]: الحياء في اللغة من الحياة. واستحيا الرجل من قوة الحياة فيه لشدة علمه

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٣٥.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٨٧.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الحياء.

(٦) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٥/٢، وفتح الباري للعسقلاني ٥٢/١، ٥٢٣/١٠، وأدب الدنيا والدين للماوردي ٢٥٨-٢٦٠، ومدارج السالكين لابن القيم ٢٤٨/٢، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٩٣/٦.

بمواقع الغيب، فالحياء من قوة الحس ولطفه وقوة الحياة. وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خُلُق الحياء. وقلة الحياء من موت القلب والروح. فكلما كان القلب أحيى كان الحياء أتم. والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به، وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب، والترك إنما هو من لوازمه. وفي الشرع: خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. وقيل: الحياء رؤية النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء. وإنما جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة؛ لأنه قد يكون تخلقًا واكتسابًا كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم فهو من الإيمان بهذا، ولكونه باعثًا على أفعال البر ومانعًا من المعاصي.

والحياء في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه: أحدها حياؤه من الله تعالى، والثاني حياؤه من الناس، والثالث حياؤه من نفسه. فأما حياؤه من الله تعالى فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره، وقد قال النبي ﷺ: «**استحيوا من الله تعالى حق الحياء، مَن استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبِلا، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»(١).. وهذا الحياء يكون من قوة الدين وصحة اليقين.

وأما حياؤه من الناس فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح.. وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وحب الثناء.. وأما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات.. وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة؛ فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر وصار بالفضل مشهورًا وبالجميل مذكورًا.. وإن أخل بأحد وجوه الحياء لحقه من النقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله.

قال المصطفى ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»(٢)، وقال ﷺ: «**الحياء خير**

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٩٣٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الحياء شعبة من الإيمان.

كله»[1]. يحتمل أن يكون أشــير إلى أن من كان الحياء من خلقه أن الخير يكون فيه أغلب فيضمحل ما لعله يقع منه مما ذكر في جنب ما يحصل له بالحياء من الخير، أو لكونه إذا صار عادة وتخلق به صاحبه يكون ســببًا لجلب الخير إليه فيكون منه الخير بالذات والسـبب. وقد قــال النبي ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[2]. فالحكمــة فــي التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث أن الذي يكف الإنســان عن مواقعة الشــر هو الحياء فإذا تركه صار كالمأمور طبعًا بارتكاب كل شر.. وقيل: هو أمر تهديد معناه؛ إذا نزع منك الحياء فافعل ما شــئت فإن الله مجازيك عليه، وفيه إشارة إلى تعظيم أمر الحياء. وقيل: هو أمر بمعنى الخبر، أي؛ من لا يستحي يصنع ما أراد.

قال رســول الله ﷺ: «**ما كان الحياء في شيء إلا زانه**»[3]، فقوله «**في شيء**» فيه مبالغة، أي؛ لو قدر أن يكون الحياء في جماد لزانه فكيف بالإنسان؟

الستر: قال الله تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًــا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ** ﴾[4].

أمر الله -عزَّ وجلَّ- بني آدم بتغطية العورات وســتر الأجسام؛ لأنه يحب الستر ويبغض التعري، وكذلك أمر رســوله ﷺ بالســتر والاعتناء بحفظ العورة ونهى عن التعري، فقال ﷺ: «**لا تمشــوا عراة**»[5]، وقال ﷺ: «**إذا اغتســل أحدكم فليســتتر**»[6]، وقال ﷺ: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**» قلت: يا رســول الله! إذا كان القــوم بعضهم في بعض؟ قال: «**إن اســتطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها**» قلــت: يا رســول الله! إذا كان أحدنا خاليًــا، قال: «**الله أحق أن يُسْتَحْيا منه من**

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الحياء شعبة من الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٠٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب: الاعتناء بحفظ العورة.

(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٨٧.

الناس»[1]، قال السندي: «أي؛ فاستر طاعة له وطلبًا لما يحبه منك ويرضيه، وليس المراد فاستر منه إذ لا يمكن الاستتار منه تعالى»[2]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أما علمت أن الفخذ عورة**»[3].

وقال ﷺ: «**ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى**»[4]. لأن المرأة مأمورة بالتستر والتحفظ من أن يراها أجنبي ولا يجوز لها أن تكشف عورتها إلا عند زوجها، فإذا لم تتق الله تعالى وخلعت ثيابها الساترة لها في غير بيت زوجها وكشفت أعضاءها فقد هتكت الستر الذي أمرها الله تعالى به، وهتكت حجاب الحياة وجلباب الأدب.

فالله -عزَّ وجلَّ- (حَيِيٌّ) كثير الحياء فلا يرد من سأله، (سِتِّير) تارك لحب القبائح ساتر للعيوب والفضائح؛ من شأنه وإرادته حب الستر والصون. يحب الحياء والستر من العبد ليكون متخلقًا بأخلاقه تعالى، فهو تعريض للعباد وحث لهم على تحري الحياء والستر وعدم التعري[5].

يحب الله الجمال

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[6].

إن الله جميل[7]: قيل إن معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل وله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال، وقيل: جميل بمعنى مجمل ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع. وقيل: معناه جليل. وقيل إنه بمعنى ذي النور والبهجة،

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٩١.

(٢) عون المعبود، ١١/٣٩.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٨٩.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٨٦.

(٥) راجع: عون المعبود ١١/٣٢، ٣٤، وحاشية السندي، شرح سنن النسائي ١/٢١٨.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر.

(٧) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٢/٩٠، والفوائد لابن القيم ٢٣٥.

أي؛ مالكهما، وقيل: معناه جميل الأفعال بكم باللطف والنظر إليكم يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه.

ولو فرضت الخلق كلهم على أجملهم صورة وكلهم على تلك الصورة، ونسبتَ جمالهم الظاهر والباطن إلى جمال الرب سبحانه لكان أقل من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشمس، ويكفي في جماله أنه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه، ويكفي في جماله أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته، فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال؟!.

الجمال[1]: الجمال يدخل فيه الجمال من كل شيء: جمال الباطن الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة، وجمال الظاهر الثياب والهيئة والوجه البشوش والكلام والصوت الحسن والأفعال الحسنة... كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[2]، فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه وهو جمال باطن، فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها.

والجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع: منه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم. فالمحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له كما كان النبي ﷺ يتجمّل للوفود. وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه. فإن ذلك محمود إذا تضمَّن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه. والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات، وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه.. وأما ما لا يحمد ولا يذم هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين.

والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصلين عظيمين: فأوله معرفة، وآخره سلوك. فيُعْرَف الله سبحانه بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء، ويُعْبَد

---

(١) ابن القيم: الفوائد ٢٣٨-٢٤٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم:٢٢٦٠.

بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق. فيحب من عبدِه أن يجَمِّل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ والشعور المكروهة والختان وتقليم الأظفار، فيعرفه بصفات الجمال ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه، فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة والسلوك.

يحب الله الخُيَلاء عند القتال والصدقة[1]

قال رسول الله ﷺ: «**إن من الخُيَلاء... ما يحب الله؛ فأما الخُيَلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال واختياله عند الصدقة**»[2].

الخيلاء عند القتال: إن الله -عزَّ وجلَّ- يحب اختيال الرجل نفسه عند القتال ولقاء العدو لما في ذلك من الترهيب لأعداء الله والتنشيط لأوليائه. واختيال الرجل عند القتال هو الدخول في المعركة بنشاط نفس وقوة قلب وإظهار الجلادة والتبختر فيه، والاستهانة والاستخفاف بالعدو لإدخال الروع في قلبه.

الخيلاء عند الصدقة: ويحب الله سبحانه اختيال الرجل عند الصدقة فإنه ربما كان من أسباب الاستكثار منها والرغوب فيها. واختيال الرجل في الصدقة هو أن يهزه سجية السخاء فيعطيها طيبة بها نفسه من غير مَنٍّ ولا استكثار وإن كان كثيرًا ولا يبالي بما أعطى بل كلما يعطي فلا يعطيه إلا وهو مستقل له.

يحب الله إتيان الرخص

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يحب أن تؤتى رُخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه**»[3]، وقال ﷺ: «**إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته**»[4].

(١) راجع: عون المعبود للعظيم آبادي ٧/٢٣٠، وحاشية السندي على سنن النسائي ٥/٨٢.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٣١٦.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٨٥.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٨٦.

الرخصة[1]: الرخصة إنما تطلق في مقابلة ما هو واجب. فمن الرخص: الفطر للمريض والمسافر، والفطر للحامل والمرضع خوفًا على ولديهما، وقصر الصلاة وجمعها في السفر، فكما يحب الله إتمام عدد ركعات الصلاة في الحضر، يحب قصرها في السفر. قال رسول الله ﷺ: «**عليكم برخصة الله التي رخَّص لكم فاقبلوها**»[2]. وقال ابن عمر: من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة. وهذا محمول على مَن رغب عن الرخصة لقوله ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»[3].

فالرخصة هي تسهيل الحكم على المكلف لعذر حصل. وقيل غير ذلك لما فيه من دفع التكبر والترفع من استباحة ما أباحته الشريعة، ومن أنف ما أباحه الشرع وترفع عنه فسد دينه فأمر بفعل الرخصة ليدفع عن نفسه كبرها ويقتل بذلك كبرها ويقهر النفس الأمارة بالسوء على قبول ما جاء به الشرع، ومفهوم محبته لإتيان الرخص أنه يكره تركه فأكد قبول رخصته تأكيدًا يكاد يلحق بالوجوب بقوله «**كما يكره أن تؤتى معصيته**». يقول الغزالي رحمه الله إنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك تطييبًا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات، فما أرسل رسول الله ﷺ إلا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم.

إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى مطلوباته الواجبة فإن أمر الله تعالى في الرخصة والعزيمة واحد؛ فليس الأمر بالوضوء أولى من التيمم في محله، ولا إتمام الصلاة أولى من القصر في محله، فيطلب فعل الرخص في مواضعها والعزائم كذلك فإن تعارضا في شيء واحد روعي الأفضل.

ولهذا الحديث وما أشبهه كان المصطفى ﷺ يكره مشابهة أهل الكتاب فيما عليهم من الآصار والأغلال ويزجر أصحابه عن التبتل والترهب.

---

(١) راجع: فيض القدير للمناوي ٢/٢٩٢-٢٩٧، إحياء علوم الدين للغزالي ٤/٢٧٨، وفتح الباري للعسقلاني ٤/١٨٣.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٥٤٢٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح.

فينبغي استعمال الرخصة في مواضعها عند الحاجة لها سيما العالم يقتدى به وإذا كان من أصر على مندوب ولم يعمل بالرخصة فقد أصاب منه الشيطان فكيف بمن أصر على بدعة؟! فينبغي الأخذ بالرخصة الشرعية فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع كمن ترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيفضي به استعماله إلى حصول الضرر.

يحب الله إتقان العمل

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»(١).

إتقان العمل: إتقان العمل هو إحكام العمل وإجادته على الوجه الأفضل، وهو مطلوب في كل عمل يقوم به الإنسان سواء أكان دينيًا أم دنيويًا؛ والله -عزَّ وجلَّ- يحب من الإنسان إذا عمل عملاً أن يتقنه، وأفضل الأعمال التي يجب على المسلم أن يتقنها ويحسنها ويخلص فيها ويخلصها من الرياء والبدعة هي العبادات: كالصلاة وأعمال الحج وحفظ القرآن وتلاوته على الوجه الصحيح وغير ذلك، ويدلنا على ذلك أن النبي ﷺ أمر رجلاً بأن يعيد صلاته ثلاث مرات بسبب عدم إتقانه للهيئات والحركات، خاصة الاطمئنان فيها؛ فقد دخل النبي ﷺ المسجد فدخل رجل فصلَّى، ثم جاء فسلَّم على النبي ﷺ فردَّ النبي ﷺ عليه السلام، فقال: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ**» فصلَّى، ثم جاء فسلَّم على النبي ﷺ فقال: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ**» (ثلاثًا) فقال: والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره فعلِّمني. قال: «**إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها**»(٢).

وفي روايات أخرى قال النبي ﷺ عن الركوع: «**فإذا ركعت فضع راحتيك على**

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة.

ركبتيـك، ثـم فرِّج بـين أصابعك، ثـم امكث حتى يأخـذ كل عضو مأخـذه»[1]، وقال ﷺ عن الرفع من الركوع: «**فإذا رفعت رأسـك فأقم صلبـك حتى ترجع العظام إلى مفاصلها**»[2]. فهذا التفصيل في أداء حركات الصلاة دليل على أهمية إتقانها.

والإتقان مطلوب أيضًا في المهنة التي يعمل بها الإنسـان، وأن يحسن استعمال ما يسـتخدمه من آلات ومعدات وسـيارات ونحو ذلك، وعلى الصانع أن يعمل بما علمـه الله عمل إتقان وإحسـان بقصد نفع خلق الله الذي اسـتعمله في ذلك، ولا يعمل على نية أنه إن لم يعمل ضاع، ولا على مقدار الأجرة بل على حسب إتقان ما تقتضيه الصنعة، كما ذُكر أن صانعًا عمل عملاً ولم يقتنع بأنه تام الإتقان وسـلمه لصاحبه الذي لم ير فيه شـيئًا معيبًا، غير أن الصانع لم ينم ليلته كراهة أن يظهر مـن عمله عملاً غير متقن فشـرع في عمل بديل له حتى أتقـن ما تعطيه الصنعة ثم ذهب به لصاحبه فأخذ الأول وأعطاه الثاني فشـكره فقال: لم أعمل لأجلك بل قضاء لحق الصنعة كراهة أن يظهر من عملي عمل غير متقن. فمتى قصَّر الصانع في العمل لنقص الأجرة فقد كفر ما علمه الله وربما سلب الإتقان[3].

حتى ذبح الحيوان فقد أمر الله -عزَّ وجلَّ- ورسـوله ﷺ بإحسانه، قال رسول اللـه ﷺ: «**إن الله كتب الإحسـان على كل شـيء، فـإذا قتلتم فأحسـنوا القتلة، وإذا ذبحتـم فأحسـنوا الذبـح، ولْيُحِـدَّ أحدكم شـفرته، فليـرِح ذبيحتـه**»[4]، فإتقان ذبح الحيـوان يكون بإحداد السـكين، وألا يحدها بحضرة الحيـوان، وألا يذبح واحدة بحضرة أخرى، ولا يسحبها برجلها ليذبحها، وأن يعجِّل تمرير السكين على الحلق، وهو أقرب المواضع لمفارقة الحياة بسهولة. و «**أحسنوا القتلة**» عام في كل قتيل من الذبائح وقتل الإنسان قصاصًا وفي حد ونحو ذلك.

بل طريقة الأكل والشـرب تحتاج إلى إتقان كما أمر النبي ﷺ: «**سـمِّ الله، وكل**

---

(١) رواه ابن حبان في باب صفة الصلاة، ذكر وصف بعض السجود والركوع للمصلي في صلاته.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٨٨٩٦، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٣) المناوي: فيض القدير ٢/٢٨٦ (بتصرف).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصيد، باب: الأمر بإحسان الذبح وتحديد الشفرة.

بيمينك، وكل مما يليك»[(١)] . وهكذا كل عمل يقوم به الإنسان مما هو شرعي ومباح، فإن الله سبحانه يحب إتقانه.

يحب الله الإحسان في العمل

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يحسن»**[(٢)] .

إحسان العمل[(٣)] : إحسان العمل هو الإخلاص والعدل فيه. والله -عزَّ وجلَّ- يحب من كل عامل إذا عمل عملاً في طاعة أن يحسن عمله بألا يبقى فيه مقالاً لقائل، ولا مفرجًا لغائب.. والعاقل من يتحرى الصدق في صناعته، ويقبل على عمله وطلب مرضاة ربه بقدر وسعه، ويؤدي الأمانة بقدر جهده، ولا يشتغل عن عبادة ربه كما قال تعالى: ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾[(٤)] .

خص الله تعالى التجارة بالذكر؛ لأنها أعظم ما يشتغل بها الإنسان عن العبادات وأهمها الصلاة؛ ولهذا مدح هؤلاء الذين لا تلهيهم التجارة عن العبادات، ولا شك أنهم يحسنون صنعًا ويحسنون أعمالهم ويوفقون بينها وبين العبادات ومواقيت الصلاة.

يحب الله الغَيْرة في الريبة

قال رسول الله ﷺ: **«من الغَيْرَة ما يحب الله... فأما التي يحبها الله فالغَيْرَة في الريبة»**[(٥)] .

الغَيْرَة في الريبة: الغَيْرَة في الريبة هي أن يغار الرجل على محارمه إذا رأى منهم فعلاً محرمًا، أو في مواضع التهمة والتردد فتظهر فائدتها وهي الرهبة

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب: التسمية على الطعام، والأكل باليمين.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٩١.

(٣) راجع: فيض القدير للمناوي ٢/٢٨٧.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٣١٦.

والانزجار، فإن الغيرة في ذلك ونحوه مما يحبه الله. قال رسـول الله ﷺ: «**ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرَّم الفواحش**»[1]. وقال ﷺ: «**إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرَّم الله**»[2].

وكان الحسـن يقول: أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق قبَّح الله من لا يغار.

والطريق المغني عن الغيرة ألا يدخل عليها الرجال ولا تختلط بهم ولا تصافحهم ولا تخرج إلى الأسواق إلا لضرورة. والخروج مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم لقوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾[3]. وينبغي تعليم المرأة أنه إذا مست الحاجة إلى الخروج فليكن على تبذل وتسـتر تام وأن تتجنب أي سفور أو تبرج كما نهـى الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾[4]، وأن تغض بصرها كما أمر تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ**﴾[5].

يحب الله ظهور أثر النعمة على عبده

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب أن يُرَى أثرُ نعمتِه على عبده**»[6].

أثـر النعمـة[7]: إن الله -عزَّ وجلَّ- يحب ظهور أثـر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شـكره على نعمه وهـو جمال باطن، فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها. ولمحبته سبحانه للجمال أنـزل على عباده لباسًـا وزينة تجمِّل ظواهرهم، وتقـوى تجمِّل بواطنهم،

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب: الغَيرة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب: الغَيرة.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٥) سورة النور، الآية: ٣١.

(٦) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٢٦٠.

(٧) راجع: الفوائد لابن القيم ٢٣٨، والروح ٣٣٤، وفيض القدير للمناوي ٢/٢٩٣، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٦/١٢٢.

فهو سبحانه يحب التجمل حتى في اللباس ولا يحب البؤس والتباؤس وهو إظهار الفقر وارتداء الملابس الرثة والبالية والممزقة والخشنة؛ وقد رأى النبي ﷺ رجلاً رث الثياب فقال له: «**هل لك من مال؟**» فقال: من كل المال قد أعطاني الله من الإبل والغنم، فقال ﷺ: «**فلْيُرَ عليك**»(١). أي: فليُبْصَر وليَظْهَر. وقال ﷺ: «**إن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة، يحب أن يرى أثر النعمة عليه**»(٢). وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا آتاك الله مالاً فلير عليك، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنًا، ولا يحب البؤس ولا التباؤس**»(٣).

والمعنى: البس ثوبًا جيدًا ليعرف الناس أنك غني وأن الله أنعم عليك بأنواع النعم. وفي شرح السنة: هذا في تحسين الثياب بالتنظيف والتجديد عند الإمكان من غير أن يبالغ في النعامة والدقة ومظاهرة الملبس على اللبس على ما هو عادة العجم. قال القاري: اليوم زاد العرب على العجم.. وقال البغوي: وروي عن النبي ﷺ أنه كان ينهى عن كثير من الإرفاه. وروى البيهقي عن أبي هريرة وزيد بن ثابت أنه ﷺ نهى عن الشهرتين رقة الثياب وغلظها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها، ولكن سداد فيما بين ذلك واقتصاد.

وقيل إن معنى «يُرى» مزيد الشكر لله تعالى بالعمل الصالح والثناء والذكر له بما هو أهله والعطف والترحم والإنفاق من فضل ما عنده في القرب ﴿**وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾(٤)، والخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله فيرى في أثر الجدة عليه زيًا وإنفاقًا وشكرًا، هذا في نعمة الله. أما في النعمة الدينية فأن يرى على العبد نحو استعماله للعلم فيما أمر به وتهذيب الأخلاق ولين الجانب والحلم على السفيه وتعليم الجاهل ونشر العلم في أهله ووضعه في محله بتواضع ولين جانب في أبهة واحتشام، وفي ولاة الأمور بالرفق بالرعية وإقامة نواميس العدل

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٣٢.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧١١.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٥٥.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧٧.

فيهم ومعاملتهم بالإنصاف وترك الإعتساف إلى غير ذلك من سائر ما يجب عليهم. ويطرد ذلك في كل نعمة مع أن نعمه تعالى لا تحصى.

ورؤية أثـر النعمة يمكن أن يكون بإظهارها أو بالتحدث عنها؛ وهناك فرق بين التحـدث بنعم الله والفخر بها؛ فالمتحدث بالنعمـة مخبر عن صفات الله ومحض جوده وإحسـانه، فهو مثنٍ عليه بإظهارها والتحدث بها شـاكرًا له ناشرًا لجميع ما أولاه، مقصـوده بذلك إظهار صفات الله ومدحـه والثناء وبعث النفس على الطلب منـه دون غيره وعلـى محبته ورجائه، فيكون راغبًا إلى الله بإظهار نعمه ونشـرها والتحدث بها.

يحب الله موضع صدقة الإصلاح[(١)]

قال رسـول الله ﷺ: «**ألا أدلـك على صدقةٍ يحـب الله موضعهـا؟ تصلح بين الناس؛ فإنها صدقة يحب الله موضعها**»[(٢)].

الإصلاح بين الناس: الإصلاح تلافي خلل الشيء، وفي المصباح الصلح التوفيق، أصلحت بين القوم وفقت بينهم. وقال الراغب: الصلاح ضد الفساد وهما مختصان فـي أكثر الاسـتعمال بالأفعال، والصلح مختص بإزالة النفـار بين الناس (فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين) وفي رواية المسلمين، أي: أصلحوا، فإن الله يحب الصلح؛ ولذلك يصلح بين المؤمنين (يوم القيامة)، أي: يوفق بينهم بأن يلهم المظلوم العفو عن ظالمه ويعوضه عن ذلك بأحسن الجزاء.

والإصلاح بين الناس هو عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسـلمين، وفي كل كلام يراد به وجه الله تعالى. قال العسقلاني: «والصلح أقسام: صلح المسلم مع الكافر، والصلح بين الزوجين، والصلح

---

(١) راجـع: الجامع لأحـكام القرآن للقرطبي ٢٤٦/٥-٢٤٧، وفتح الباري للعسـقلاني ٢٩٨/٥، وفيـض القدير للمناوي ١٢٧/١.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: ٢٦٤٤.

بين الفئة الباغية والعادلة، والصلح بين المتغاضبين كالزوجين، والصلح في الجراح كالعفو على مال، والصلح لقطع الخصومة إذا وقعت المزاحمة إما في الأملاك أو في المشتركات كالشوارع».

قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى، قال: «**إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة**»[2]، وقال ﷺ: «**ليس الكذّاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرًا أو يقول خيرًا**»[3]، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة. قال الأوزاعي: ما خطوة أحب إلى الله -عزّ وجلّ- من خطوة في إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار.

يحب الله العطاس

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العطاس**»[4].

العطاس: قال رسول الله ﷺ: «**إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم**»[5].

في الحديث دليل على عظيم نعمة الله على العاطس؛ يؤخذ ذلك مما رتب عليه من الخير، وفيه إشارة إلى عظيم فضل الله على عبده، فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة العطاس ثم شرع له الحمد الذي يثاب عليه، ثم الدعاء بالخير بعد الدعاء بالخير، وشرع هذه النعم المتواليات في زمن يسير فضلاً منه وإحسانًا، وفي هذا

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١١١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلح ، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: ما يستحب من العطاس، وما يكره من التثاؤب.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: ما يستحب من العطاس، وما يكره من التثاؤب.

لمــن رآه بقلب له بصيرة زيـــادة قوة في إيمانه حتى يحصل له من ذلك ما لا يحصل بعبادة أيام عديدة، ويداخله من حب الله الذي أنعم عليه بذلك ما لم يكن في باله، ومن حب الرســـول الذي جاءت معرفة هذا الخير على يـــده والعلم الذي جاءت به سنته ما لا يقدر قدره. وفي زيادة ذرة من هذا ما يفوق الكثير مما عداه من الأعمال ولله الحمد كثيرًا [1].

أحب الأعمال إلى الله أدومها

قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل**» [2].

العمــل الدائــم: إن المداومة على عمل من أعمال البر ولو كان مفضولاً أحب إلى اللـــه من عمل يكون أعظم أجرًا لكن ليس فيه مداومة... والحكمة في ذلك أن المديم للعمل يلازم الخدمة فيكثر التردد إلى باب الطاعة كل وقت ليجازي بالبر لكثرة تردده، فليـــس هو كمن لازم الخدمة مثـــلاً ثم انقطع. وأيضًا فالعامـــل إذا ترك العمل صار كالمعـــرض بعد الوصل فيتعرض للذم والجفاء، ومن ثم ورد الوعيد في حق من حفظ القرآن ثم نسيه، والمراد بالعمل هنا الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات [3].

وقال عليه الصلاة والســـلام: «**يا أيهـا الناس عليكم من الأعمــال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل**» [4]، أي؛ عليكــم من الأعمال ما تطيقون الدوام عليه بلا ضـــرر، وفيه دليل على الحث على الاقتصـــاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصًا بالصلاة بل هو عام فـــي جميع أعمال البـــر... وفي هذا الحديث كمال شـــفقته ﷺ ورأفته بأمته؛ لأنه أرشـــدهم إلى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشـــقة ولا ضرر فتكون النفس أنشط والقلب منشرحاً فتتم العبادة بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق

(١) فتح الباري ١٠/٦٠٩-٦١٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم.

(٣) العسقلاني: فتح الباري ١١/٢٩٨-٢٩٩.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم.

فإنــه بصدد أن يتركه أو بعضــه أو يفعله بكلفة وبغير انشــراح القلب فيفوته خير عظيم، وقد ذم الله - سبحانه وتعالى - من اعتاد عبادة ثم أفرط.

وقولــه ﷺ: «**وإن أحب الأعمال إلى الـله ما دووم عليه وإن قل**»، فيه الحث على المداومــة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيــرًا من الكثير المنقطــع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعــة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق ســبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة[1].

أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المسلم

قال رســول اللــه ﷺ: «**أحــب الأعمال إلــى الله عــزَّ وجلَّ ســرور تدخلــه على مسلم**»[2].

السرور: هو الفرح، وهو خلاف الحزن.

لقد أرشد النبي ﷺ في أحاديث كثيرةٍ إلى أعمالٍ من الخير، وآدابٍ اجتماعيةٍ، يمكــن للمســلم أن يُدخِل بها الســرور إلى قلب أخيه المســلم؛ ومــن هذه الأعمال والآداب:

التبسم في وجه المسلم:

إن من الســرور الذي يمكن للمســلم أن يدخله إلى أخيه المســلم؛ هو أن يلقاه بوجه طلق بشوش مبتسم، لقول النبي ﷺ: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[3]. وقال ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**»[4].

(١) النووي: شرح صحيح مسلم ٦/٧١.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٩٤.

وقال رسول الله ﷺ: «**كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك**»[1]. ففي هذه الأحاديث الحث على فضل المعروف وما تيسر منه وإن قل حتى طلاقة الوجه عند اللقاء، فإن ذلك مما يُدخل السرور إلى المسلم، ويزيد الألفة والمودة بين الإخوان والأصدقاء.

الرد عن عرض المسلم:

إذا سمع أحدًا يغتاب أخًا له في الإسلام أن يرد عنه كما لو كان موجودًا ويسمعه، فيقول عنه ما يحب أن يقوله هو عنه لو كان في مكانه؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[2].

إعانة المسلم وستره:

ومن عوامل إدخال السرور إلى المسلم؛ العمل بقول رسول الله ﷺ: «**من نفَّس عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه**»[3]. وفي هذا الحديث يرشد النبي ﷺ إلى جملة من الأعمال والآداب التي على المسلم أن يفعلها مع أخيه المسلم فتُدخل السرور إلى قلبه، فتكون المجازاة من جنسها؛ فتنفيس الكربة إزالة ما عند الأخ من الهم والغم فيكون جزاؤه من جنس عمله فينفس الله تعالى عنه يوم القيامة. والتيسير على المعسر أن يصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء لدينه، وقد أمر الله تعالى بذلك فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**﴾[4]؛ وقال النبي ﷺ: «**من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله**»[5]. وعن بريدة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أنظر**

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٠٥.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٧٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر .

معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة». قال: ثم سمعته يقول: «**من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثليه صدقة»**. قلت: سمعتك يا رسول الله تقول: «**من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة»** ثم سمعتك تقول: «**من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثليه صدقة»**. قال: «**له بكل يوم صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حلَّ الدين فأنظره فله بكل يوم مثليه صدقة»**[(١)].

ومن التيسير على المعسر أيضًا أن يضع عنه بعض الدين أو كله، وقد وعد الله -عزَّ وجلَّ- على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال تعالى: ﴿ **وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[(٢)]؛ وقد أخبر النبي ﷺ أنه: «**كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعلَّ الله أن يتجاوز عنَّا، فتجاوز الله عنه»**[(٣)].

أما من ستر مسلمًا فلم يهتك ستره ولم ينشر عيوبه بين الناس فإن الله تعالى يستره في الدنيا والآخرة. أما من كان في عون أخيه سواء في قضاء حاجة أو نفعه بشيء من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك؛ فالله -عزَّ وجلَّ- في عونه. قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا... ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام»**[(٤)].

زيارة المسلم:

عن النبي ﷺ: «**أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملَكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك**

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦١٠٨. واللفظ في مسند أحمد، رقم: ٢٢٩٤٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: من أنظر معسرًا.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٦.

عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عزَّ وجلَّ. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من عاد مريضًا، أو زار أخًا له في الله ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً**»[2]. ففي هذين الحديثين فضيلة زيارة الإخوان والأصحاب، وفضيلة الحب في الله وأنه سبب لحب الله العبد. ولا شك أن الزيارة وعيادة المرضى سبب لإدخال السرور إلى المسلم، ولتقوية روابط الأخوة والصداقة فضلاً عما في ذلك من الأجر.

تشميت المسلم:

قال رسول الله ﷺ: «**إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه - أو صاحبه - يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم**»[3]، فمن حق المسلم على أخيه أن يشمته إذا عطس وحمد الله تعالى، وقد صرح النبي ﷺ بذلك في رواية أخرى حيث يقول عليه الصلاة والسلام: «**فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقًا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله**»[4]، لكن إذا لم يسمعه يحمد الله فلا يشمته.

أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن

قال رسول الله ﷺ: «**إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله، وعبد الرحمن**»[5].

عبد الله وعبد الرحمن[6]: إنما كانت هذه الأسماء أحب إلى الله؛ لأنها تضمنت

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الحب في الله تعالى.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: إذا عطس كيف يشمت.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: إذا تثاءب فليضع يده على فيه.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب: بيان ما يستحب من الأسماء.

(٦) راجع: فيض القدير للمناوي ٢/٤١٢، وفتح الباري للعسقلاني ١٠/٥٧٠.

ما هو وصف واجب لله وما هو وصف للإنسان وواجب له وهو العبودية؛ ثم أضيف العبد إلى الرب إضافة حقيقية فصدقت أفراد هذه الأسماء وشرفت بهذا التركيب فحصلت لها الفضيلة.

وقيل: إن تفضيل التسمية بهذين محمول على من أراد التسمي بالعبودية، فتقديره أحب أسمائكم إلى الله إذا تسميتم بالعبودية عبد الله وعبد الرحمن؛ لأنهم كانوا يسمون عبد شمس والدار، ولا ينافي أن اسم أحمد ومحمد أحب إلى الله من جميع الأسماء فإنه لم يختر لنبيه إلا ما هو الأحب إليه.. ويلحق بهذين الاسمين ما كان مثلهما مما فيه إضافة العبد إلى الله تعالى كعبد الرحيم وعبد الملك وعبد العزيز وعبد الصمد وغيرها.

أحب الأضحية إلى الله العفراء

قال رسول الله ﷺ: **«دم عفراء أحب إلى الله من سوداوين»**[(١)].

العفراء[(٢)]: هي الشاة التي يضرب لونها إلى بياض غير ناصع، والعفرة لون الأرض، فإن دم العفراء عند الله أحب وأزكى عنده من دم شاتين سوداوين في الأضاحي.

لقد شرع الله الأضحية إحياءً لذكرى إبراهيم عليه السلام وتوسعة على الناس يوم عيد الأضحى، وهناك أربعة أمور لا تُجزئ في الأضحية: العوراء البيِّن عورها، والمريضة البيِّن مرضها، والعرجاء البيِّن ظلعها، والعجفاء التي لا تنقي وذهب مخها من شدة الهزال. ويلحق بهذه الهتماء التي ذهب ثناياها من أصلها، والعصماء التي انكسر غلاف قرنها، والعمياء، والتولاء التي تدور في المرعى ولا ترعى، والجرباء التي كثر جربها.

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٣٩١.

(٢) راجع: فقه السنة لسيد سابق ٣/٣١٩-٣٢٥، وفيض القدير للمناوي ٣/٥٣٤.

ويُشــترط في الأضحية ألا تُذبح إلا بعد طلوع الشمس من يوم العيد ويمر من الوقــت قدر مــا يصلي المصلي، ويصح ذبحها بعد ذلك في أي يوم من الأيام الثلاثة في ليل أو نهار، ويخرج الوقت بانقضاء هذه الأيام. وإذا ضحى المسـلم بشـاة من الضأن أو المعز أجزأت عنه وعن أهل بيته، ويُسـن للمضحي أن يأكل من أضحيته، ويهدي الأقــارب، ويتصدق منها على الفقراء. وقد قــال العلماء: الأفضل أن يأكل الثلث، ويتصدق بالثلث، ويدخر الثلث. ويُســن لمن يُحســن الذبح أن يذبح أضحيته بيده ويقول: بســم الله والله أكبر، اللهم هذا عن فلان، ويســمي نفسه، فإن كان لا يُحسن الذبح فليشهده ويحضره.

يرضى الله عن الشكر

قال الله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1].

الشـكر[2]: في اللغة: الظهور. وهو الثناء على المحســن بما أولاكه من المعروف. والشــكران: خلاف الكفران. والشــكر في عبارات العلماء معناه: الاجتهاد في بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية في الســر والعلانية. وقيل: الشكر هو الاعتراف في تقصير الشكر للمنعم. وقيل: حقيقة الشكر العجز عن الشكر. وقيل: الشكر حقيقته الاعتراف بالنعمة للمنعم واستعمالها في طاعته، والكفران استعمالها في المعصية، وقليــل من يعقل ذلك؛ لأن الخير أقل من الشــر، والطاعة أقل من المعصية. وقيل: الشــكر التواضع والمحافظة على الحسنات، ومخالفة الشــهوات، وبذل الطاعات، ومراقبة جبار الأرض والســماوات. وقيل: الشــكر لمن فوقــك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإحســان والإفضال. وقيل: الشكر معرفة الإحسان والتحدث به. والله - تبارك وتعالى - يرضى الشكر ويحبه لعباده المؤمنين.

---

(١) سورة الزُمَر، الآية: ٧.

(٢) راجــع: إحياء علوم الديــن لأبي حامد الغزالي ٤/٩٠-٩٥ ، ١٢٣-١٢٤، ومدارج الســالكين لابن القيم ٢/٢٤٢-٢٤٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢٧٠-٢٧١، ٩/٢٢٥، ٥٨٣، ١٤/١٧٧، وفتح الباري للعســقلاني ٣/١٥، وتفســير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٥٤٣، ٣/٤٥٣، وفيض القدير للمناوي ٦/٢٢٤.

والشكر على ثلاث درجات: الأولى: الشكر على المحاب؛ وهو الاعتراف بنعمه سبحانه، والثناء عليه بها، والإحسان إلى خلقه منها. وهذا بلا شك يوجب حفظها على الشاكر والمزيد منها. والثانية: الشكر على المكاره؛ وهو أشد وأصعب من الشكر على المحاب. ولهذا كان فوقه في الدرجة، وهذا الشاكر أول من يُدعى إلى الجنة؛ لأنه قابل المكاره -التي يقابلها أكثر الناس بالجزع والسخط، وأوساطهم بالصبر، وخاصتهم بالرضى- فقابلها هو بأعلى من ذلك كله. وهو الشكر. فكان أسبقهم دخولاً إلى الجنة، وأول من يدعى منهم إليها. والثالثة: ألا يشهد العبد إلا المنعم؛ وهذه الدرجة يستغرق صاحبها بشهود المنعم عن النعمة، فلا يتسع شهوده للمنعم ولغيره.

قال الله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[1]؛ إن فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه، إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى في محابه، ومعنى الكفر نقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها في مكارهه. ولتمييز ما يحبه الله تعالى مما يكرهه مدركان: أحدهما، السمع، ومستنده الآيات والأخبار، والثاني: بصيرة القلب، وهو النظر بعين الاعتبار، وهذا الأخير عسير، وهو لأجل ذلك عزيز؛ فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق، ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد، فمن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً. وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه، إذ ما خلق شيئًا في العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب.. وكل من استعمل شيئًا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى. وكل من استعمل شيئًا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بد منها لإقدامه على تلك المعصية. ومثال على ذلك فإن من عامل معاملة الربا على المال فقد كفر النعمة وظلم؛ لأن المال خُلق لغيره لا لنفسه إذ لا غرض في عينه، فإذا أتجر في عينه فقد

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

اتخذه مقصودًا على خلاف وضع الحكمة، إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم. فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(١). لا يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة، فإنهم يمنعون بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه فقط: الحمد لله، الشكر لله. ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله -عزَّ وجلَّ- فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان ؛ وقد فرح إبليس بقوله ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾(٢).

أما الغفلة عن النعم فلها أسباب، وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة؛ فلذلك لا يشكرون على النعم التي تعمهم وتحيط بهم.. فإن ابتلى واحد منهم ببلاء أو سُلبت منه نعمة من نعم الله تعالى ثم نجا ربما قدَّر ذلك نعمة وشكر الله عليها، وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفًا على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال، والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر في بعضها؛ فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تعمى عينيه، فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكره وعدَّه نعمة، فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرق الاختصاص إليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم، كما شكا بعضهم فقره إلى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به فقال له: أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أن أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفًا؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفًا؟!. وما من عبد يمعن النظر في أحواله إلا ويرى

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧.

من الله نعمة أو نعمًا كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير منهم وربما لا يشاركه فيها أحد.

إن إنسانًا أرسله الله رحمة للعالمين وجعله سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين وغُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقوم في الصلاة حتى تتورم قدماه لأجل أن يشكر الله على نعمه عليه؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطَّر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**يا عائشة أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[1]. فإذا كان ﷺ فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلاً عمن لم يأمن أنه استحق النار؟ والحديث يبين أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان كما قال الله تعالى: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا**﴾[2]. أي: اعملوا عملاً هو الشكر على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا. وكأن الصلاة والصيام والعبادات كلها هي في نفسها الشكر إذ سدَّت مسدَّه. فظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان، فالشكر بالأفعال عمل الأركان، والشكر بالأقوال عمل اللسان. قال القرطبي: ظن من سأل النبي ﷺ عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفًا من الذنوب وطلبًا للمغفرة والرحمة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك، فأفادهم أن هناك طريقًا آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئًا فيتعين كثرة الشكر على ذلك، والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة، فمن كثر ذلك منه سمي شكورًا، ومن ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾.

والشكور اسم من أسماء الله الحسنى، أي: الذي لا يضيع سعي العاملين لوجهه بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[3]، أي: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، فحقيقة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

الشكر على هذا الاعتراف بالنعمة للمنعم وألا يصرفها في غير طاعته؛ ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1]؛ لئن كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها إن عذابي لشديد وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها. فوعد بالعذاب على كفر النعم وجحدها كما وعد بالزيادة على شكرها.

قال رسول الله ﷺ: «**الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر**»[2]، وفي رواية: «**الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر**»[3]؛ قال ابن بطال: هذا من تفضل الله على عباده أن جعل للطاعم إذا شكر ربه على ما أنعم به عليه ثواب الصائم الصابر. وفي الحديث الحث على شكر الله على جميع نعمه إذ لا يختص ذلك بالأكل. وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَن لا يشكر الناس لا يشكر الله**»[4]؛ لأنه لم يطعه في امتثال أمره بشكر الناس الذينس هم وسائط في إيصال نعم الله عليه، والشكر إنما يتم بمطاوعته فمن لم يطعه لم يكن مؤديًا شكره... وفائدته صرف النعم في الطاعة وإلا فذلك كفران وأصل النعم من الله والخلق وسائط وأسباب فالمنعم حقيقة هو الله وله الحمد وله الشكر فالحمد خبر عن جلاله والشكر خبر عن إنعامه وأفضاله لكنه أذن في الشكر للناس لما فيه من تأثير المحبة والألفة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[5]، وقال المصطفى ﷺ: «**التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر**»[6]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[7]؛ يعود نفع الشكر وثوابه على الشاكر نفسه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[8]؛ ولقول النبي ﷺ: «**عجبًا**

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٠٢١.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٩٤٣.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٩٢.

(٥) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٦) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠١٤.

(٧) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٨) سورة الروم، الآية: ٤٤.

لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له...»[1]؛ والله -عزَّ وجلَّ- غني عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعًا فإنه الغني عمن سواه؛ فلا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه.

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب: في أحاديث متفرقة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

ما يبغض الله من الأمور

لا يحب الله الجهر بالسوء

قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[1].

الجهر بالسوء من القول[2]: الجهر بالسوء من القول هو أن يدعو الإنسان على غيره ويسبه ويشتمه أمام الناس، إلا مَن ظُلم فله أن يقول ظلمني فلان، ولا يدع عليه، بل يقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج حقي، اللهم حُل بينه وبين ما يريد من ظلمي. وقال ابن عباس وغيره: المباح لمن ظُلم أن يدعو على مَن ظلمه، وإن صبر فهو خير له. وظاهر الآية يقتضي أن للمظلوم أن ينتصر من ظالمه -ولكن مع اقتصاد- إن كان مؤمنًا؛ فأما أن يقابل القذف بالقذف ونحوه فلا؛ وإن كان كافرًا فليرسل لسانه وليدع بما شاء من الهلكة وبكل دعاء.

إن الجهر بالسوء من القول - في أي صورة من صوره - سهل على اللسان ما لم يكن هناك تحرج في الضمير وتقوى لله، وشيوع هذا السوء كثيرًا ما يترك آثارًا عميقة في ضمير المجتمع.. كثيرًا ما يدمر الثقة المتبادلة في هذا المجتمع فيخيل إلى الناس أن الشر قد صار غالبًا.. وكثيرًا ما يذهب ببشاعة السوء بطول الألفة؛ فالإنسان يستقبح السوء أول مرة بشدة؛ حتى إذا تكرر وقوعه أو تكرر ذكره، خفت حدة استقباحه والاشمئزاز منه؛ وسهل على النفوس أن تسمع -بل أن ترى- ولا تثور للتغيير على المنكر.

ذلك كله فوق ما يقع من الظلم على مَن يتهمون بالسوء ويشاع عنهم - وقد يكونون منه أبرياء - ولكن قالة السوء حين تنتشر؛ وحين يصبح الجهر بها

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

(٢) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٦-٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٨٥/١، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ٧٩٥/٢-٧٩٦.

هينًا مألوفًا، فإن البريء قد يتقول عليه مع المسيء؛ ويختلط البر بالفاجر بلا تحرج من فرية أو اتهام؛ ويسقط الحياء النفسي والاجتماعي الذي يمنع الألسنة من النطق بالقبيح؛ والذي يعصم الكثيرين من الإقدام على السوء.

إن الجهر بالسوء يبدأ في أول الأمر اتهامات فردية –سبًا وقذفًا– وينتهي انحلالاً اجتماعيًا؛ وفوضى أخلاقية؛ تضل فيها تقديرات الناس بعضهم لبعض أفرادًا وجماعات؛ وتنعدم فيها الثقة بين بعض الناس وبعض؛ وقد شاعت الاتهامات؛ ولاكتها الألسنة بلا تحرج. لذلك كله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ويكره أن تشيع قالة السوء بين المسلمين، واستثنى من وقع عليه ظلم فأعطاه وحده حق الجهر بكلمة السوء يصف بها الظالم ليدفع عنه الظلم في حدود ما وقع عليه منه؛ وفي هذه الحالة يكون الوصف بالسوء –ويشمل ما تعبر عنه المصطلحات القانونية بالسب والقذف– انتصارًا من ظلم، ودفعًا لعدوان، وردًا لسوء بذاته قد وقع بالفعل على إنسان بذاته؛ وتشهيرًا بالظلم والظالم في المجتمع؛ لينتصف المجتمع للمظلوم؛ وليضرب على يد الظالم؛ وليخشى الظالم عاقبة فعله، فيتردد في تكراره، قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**». فقال رجل: يا رسول الله! أنصره إذا كان مظلومًا أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «**تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره**»[(١)].

والجهر بالسوء عندئذ يكون محدد المصدر –من الشخص الذي وقع عليه الظلم– محدد السبب –فهو الظلم المعين الذي يصفه المظلوم– موجهًا إلى شخص بذاته هو الذي وقع منه الظلم.. عندئذ يكون الخير الذي يتحقق بهذا الجهر مبررًا له؛ ويكون تحقيق العدل والنصفة هو الهدف لا مطلق التشهير.. وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره، فقال ﷺ: «**اذهب فاصبر**» فأتاه مرتين أو ثلاثًا فقال ﷺ: «**اذهب فاطرح متاعك في الطريق**». فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به، وفعل، وفعل، فجاء إليه جاره فقال له: ارجع لا ترى مني شيئًا تكرهه[(٢)].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإكراه، باب: يمين الرجل لصاحبه.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٢٩٢.

وهكذا يوفق الإسلام بين حرصه على العدل الذي لا يطيق معه الظلم، وحرصه على الأخلاق الذي لا يطيق معه خدشًا للحياء النفسي الاجتماعي.. والخير للمسلم أن يصبر ويعفو عمن أساء إليه كما حث الله -عزَّ وجلَّ- على ذلك فقال تعالى: ﴿ **إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا** ﴾[1]، وكما نصح النبي ﷺ ذلك الرجل أكثر من مرة «**اذهب فاصبر**»؛ فذلك مما يقرب عند الله ويجزل الثواب لديه فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم.

لا يحب الله العقوق

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يحب العقوق**»[2].

العقوق[3]: العق هو الشق والقطع؛ وهو ضد البر. والمراد به صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل. فالوالدان يحملان أذى ولدهما وهو صغير راجين حياته، والرجل إن حمل أذى والديه في كبرهما رجا موتهما، وقد أمر الله تعالى ببر الوالدين والإحسان إليهما وخفض الجناح لهما ونهى عن عقهما فقال تعالى: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾[4].

وعقوق الوالدين محرم وهو من أكبر الكبائر، قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟... الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...**»[5].

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٩.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٤٩.

(٣) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٠/١٥٥-١٦٠، ١٤/٤٤، ٥/١٢٠، وفتح الباري للعسقلاني ١٠/٤٠٣-٤٠٦، ٥/٦٨، وفيض القدير للمناوي ٢/٢٢٧، ٤/٣٣.

(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر.

وعقــوق الوالديــن مخالفتهما في أغراضهمــا الجائزة لهما؛ كمــا أن برهما موافقتهمــا على أغراضهما. وعلى هذا إذا أمــرا أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتهمــا فيه؛ إذا لم يكن ذلــك الأمر معصية، وإن كان ذلــك المأمور به من قبيل المبــاح في أصله، وكذلك إذا كان مــن قبيل المندوب. وقد ذهب بعض الناس إلى أن أمرهمــا بالمباح يصيِّره في حق الولد مندوبًــا إليه، وأمرهما بالمندوب يزيده تأكيدًا في نَدْبيته... ولا يختص بر الوالدين بأن يكونا مسلمين، بل إن كانا كافرين يبرهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد.

وقولــه تعالى: ﴿ **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا** ﴾، خص حالة الكبر؛ لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر؛ فألزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل؛ لأنهما في هذه الحالة قــد صارا كَلاًّ عليــه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر مــا كان يحتاج في صغره أن يليــا منه؛ فلذلك خص هــذه الحالة بالذكر. وأيضًا فطــول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة ويحصل الملل ويكثر الضجر فيظهر غضبه على أبويه وتنتفخ لهما أوداجه، ويســتطيل عليهما بدالَّة البنوَّة وقلــة الديانة، وأقل المكروه ما يظهره بتنفســه المتردد من الضجر. وقد أمر أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم عن كل عيب فقال: ﴿ **فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾. وقد قال النبي ﷺ: «**رَغِمَ أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه**» قيل: مَن يا رســول الله؟ قال: «**مــن أدرك والديــه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة**»[1]. فالســعيد الذي يبادر اغتنام فرصة بِرهما لئلا تفوته بموتهما فيندم على ذلك. والشــقي من عقَّهما، لا سيما من بلغه الأمر ببرهما.

وقوله تعالى: ﴿ **فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ** ﴾ أي: لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم. وعن أبي رجاء العُطَارِدِيّ قــال: الأف الكلام القَذَع الرديء الخفي. وقال مجاهد: معناه إذا رأيت منهما في حال الشــيخوخة الغائط والبول الذي رأياه منك في الصغر فلا تَقْذَرْهما وتقول أف. والآية أعم من هذا. ويقال لكل ما يُضجر ويســتثقل: أف له.

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

وقال بعضهم: معنى أف الاحتقار والاستقلال؛ أُخذ من الأَفَف وهو القليل. ولو علم الله من العقوق شيئًا أردأ من «أف» لذكره. قيل: وإنما صارت قولة (أف) للأبوين أردأ شيء؛ لأنه رفَضَهما رفض كفر النعمة، وجحد التربية وردَّ الوصية التي أوصاه في التنزيل. و(أف) كلمة مقولة لكل شيء مرفوض؛ ولذلك قال إبراهيم لقومه: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[1]، أي: رَفْض لكم ولهذه الأصنام معكم.

قوله تعالى: ﴿ وَلا تَنْهَرْهُمَا ﴾ النَّهْر: الزجر والغِلظة. ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ أي: ليِّنًا لطيفًا، مثل: يا أبتاه ويا أماه، من غير أن يسميهما ويُكَنِّيهما... ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾، هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للأمير والعبيد للسادة.. والذل: هو اللين. والذل في الدواب المنقاد السهل دون الصعب. فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة، في أقواله وسكناته ونظره، ولا يُحِدَّ إليهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب. ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا ﴾، أمر تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأنْ ترحمهما كما رحماك وتَرْفُق بهما كما رَفَقا بك؛ إذ وَلِياكَ صغيرًا جاهلاً محتاجًا فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكَسَواك، فلا تجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر، فتَلي منهما ما وَلِيا منك، ويكون لهما حينئذ فضل التقدم. ﴿ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقًا لهما وحنانًا عليهما.

ومن العقوق أن يتعرض لسبهما كما قال النبي ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»[2]. فإن كان التسبب إلى لعن الوالد من أكبر الكبائر فالتصريح بلعنه أشد.. وقوله (وكيف يلعن الرجل والديه) هو استبعاد من السائل؛ لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك، فبيَّن في الجواب

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه.

أنه وإن لم يتعاط السب بنفسه في الأغلب الأكثر لكن قد يقع منه التسبب فيه وهو مما يمكن وقوعه كثيرًا.

ومن عقوق الوالدين إذا لم يتعين الجهاد أن يجاهد بغير إذنهما؛ فقد قال رجل للنبي ﷺ: أجاهد؟ قال: «**لك أبوان؟**» قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات**»[(٢)]. قيل: خص الأمهات بالذكر وإن كان عقوق الآباء عظيمًا؛ لأن عقوقهن أقبح أو إليهن أسرع من الآباء لضعف النساء، ولينبه على أن بر الأم مقدم على بر الأب في التلطف والحنو ونحو ذلك. فهو من تخصيص الشيء بالذكر إظهارًا لعظم موقعه.

وقال ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**»[(٣)]. لأنه تعالى أمر أن يطاع الأب ويكرم، فمن امتثل أمر الله فأطاع والده وأكرمه فقد أطاع الله فرضي عنه، ومن خالف أمر الله فأغضب والده وأهانه فقد أغضب الله فغضب عليه، وهذا فيما ليس في معصية الخالق. وهذا وعيد شديد يفيد أن العقوق كبيرة.

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه... وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه...**»[(٤)].

لا يرضى الله القول الباطل

قال الله تعالى: **﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾**[(٥)].

القول الباطل: القول الباطل هو كل قول ضد الحق كالكذب والافتراء والإفك والبهتان والزور والكيد والخيانة واتهام البريء وتبرئة الجاني.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: لا يجاهد إلا بإذن الأبوين.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٤٩.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧١.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٠٨.

أصحاب القول الباطل[1]: أصحاب القول الباطل هم المنافقون الذين يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها؛ لأنه مطلع على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم وهو معهم عندما يبيتون ما لا يرضاه الله لأهل طاعته من الرأي والاعتقاد.

أبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله[2]

قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله**»[3].

قال الله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾[4]؛ يأمر الله -تبارك وتعالى- بعبادته وحده لا شريك له فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآنات والحالات فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته.. فهو الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه ولا تنبغي العبادة إلا له؛ لأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي لا ولد له ولا والد، ولا عديل ولا بديل، ولا وزير ولا نظير، بل هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

الشرك بالله: الشرك بالله هو أعظم الذنوب، وأعظم الظلم؛ فاستحق ألا يغفره الله لأحد ويغفر ما دونه من المعاصي لمن يشاء؛ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾[5]، ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا**﴾[6]، أي: فقد سلك غير الطريق الحق وضل عن الهدى وبَعُدَ عن الصواب وأهلك نفسه وخسرها في الدنيا والآخرة وفاتته سعادة الدنيا

(١) راجع: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/٥٦٥.

(٢) راجع: مدارج السالكين لابن القيم ١/٣٤٨-٣٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٥٠٥، ٥٦٨، ٣/٣٢٠، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٨/١١٦، وإحياء علوم الدين للغزالي ٣/٢٩٧.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٦) سورة النساء، الآية: ١١٦.

والآخرة. فأي إثم أعظم، وأي معصية أكبر، وأي ضلال أبعد من أن يجعل الإنسان لله ندًا وشريكًا وهو خلقه؟! عن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**». قلت: إن ذلك لعظيم[1].

فمن أشرك بالله وجعل لله ندًا فالنار أولى به ومحرم عليه دخول الجنة وإن صلَّى وصام وزعم أنه مسلم، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ**﴾[2]، فإشراكه بالله يبطل ثواب أعماله الصالحة الأخرى، قال تعالى: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[3]؛ ذلك لأن الشرك كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[4]. فمن مات على الشرك فهو في أصحاب الجحيم ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل.

والشرك نوعان: أكبر وأصغر؛ فالأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة منه وهو من أكبر الكبائر وهو الشرك الأعظم، وهو اعتقاد شريك لله في ألوهيته، وأن يتخذ من دون الله ندًا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين؛ ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿**تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[5]، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت. وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله. وكثير منهم -بل أكثرهم- يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾[6]، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذُكر الله وحده، قال تعالى:

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿**فلا تجعلوا لله أندادًا**﴾.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٣) سورة الزُمَر، الآية: ٦٥.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٥) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧-٩٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾[1]، ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين.

والمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك، فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده؛ فنفى الله - تبارك وتعالى - المراتب الأربع نفيًا مترتبًا، متنقلاً من الأعلى إلى ما دونه، فنفى المِلْكَ، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه، فقال تعالى: ﴿ **قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** ﴾[2].

وأما الشرك الأصغر: فأنواعه كثيرة لا يحصيها إلا الله -عزَّ وجلَّ-؛ فمن أنواعه: الرياء والتصنع للخلق؛ قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: يا رسول الله؛ وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء؛ إن الله تبارك وتعالى يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**»[3]. قال الله تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾[4]؛ وقد حذرنا رسول الله ﷺ من هذا الشرك فقال عليه الصلاة والسلام: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟**» قلنا: بلى. فقال: «**الشرك الخفي: أن يقوم الرجل يصلي فيُزين صلاته لما يرى من نظر رجل**»[5].

---

(١) سورة الزُمَر، الآية: ٤٥.

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢٣٥٢٦، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣٨٩.

فأصل الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادات وخصال الخير وإظهارها، وحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله؛ قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾[1]؛ قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشِرْكه**»[2]. فالله -عزَّ وجلَّ- غني عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئًا لله ولغيره لم يقبله الله بل يتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به.

ومن أنواعه: الحلف بغير الله حتى ولو بشيء عظَّمه الله وقدسه، فقد سمع عبد الله بن عمر رجلاً يقول: لا والكعبة. فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[3]، وقول الرجل للرجل: «ما لي إلا الله وأنت» و«أنا متوكل على الله وعليك» و«لولا أنت لم يكن كذا وكذا».

ومن أنواعه: النذر لغير الله؛ فإنه شرك، وهو أعظم من الحلف بغير الله، فإذا كان مَن حلف بغير الله فقد أشرك فكيف بمن نذر لغير الله؟.

ومن أنواعه: الخوف من غير الله، والتوكل على غير الله، والعمل لغير الله، والإنابة والخضوع والذل لغير الله، وابتغاء الرزق من عند غير الله، والغنية بحمد غير الله عن حمد الله، والذم والسخط على ما لم يقسمه الله، وإضافة نعم الله إلى غيره، واعتقاد أن يكون في الكون ما لا يشاء الله.

ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم. وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، فضلاً عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببًا لإذنه وإنما السبب لإذنه: كمال

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب: تحريم الرياء.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٢٤١.

التوحيد. فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشرك. والميت محتاج إلى من يدعو له، ويترحَّم عليه، ويستغفر له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نسلم عليهم وندعو الله أن يغفر لهم، فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارة العبادة، واستقضاء الحوائج، والاستغاثة بهم، وجعلوا قبورهم أوثانًا تُعبَد، فذبحوا لهم الذبائح، ونذروا لهم النذور، وفعلوا غير ذلك من أعمال الشرك بالله تعالى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[1].

أبغض الأعمال إلى الله قطيعة الرحم

قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله، ثم قطيعة الرحم**»[2].

قطيعة الرحم: الرحم: يطلق على الأقارب وهم من بينه وبين الآخر نسب، سواء كان يرثه أم لا، سواء كان ذا محرم أم لا. وقيل هم المحارم فقط، والأول هو المرجح؛ لأن الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال من ذوي الأرحام وليس كذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب. قال: فهو لك.** قال رسول الله ﷺ: **فاقرؤوا إن شئتم** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[3]»[4].

لقد خلق الله الرحم وأخرج لها اسماً من اسمه فهو الرحمن وهي الرحم، وأمر تعالى بوصل الرحم ونهى عن قطعها، فقطيعة الرحم من أبغض الأعمال إليه بعد الإشراك به.

(١) سورة البينة، الآية: ٦.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٦.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من وصل وصله الله.

وكما وعد الله تعالى من يصل الرحم بالخير الكثير في الدنيا والآخرة كما أخبر النبي ﷺ: «**من سَرَّه أن يُبسَط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره فليَصل رحمه**»(١)، فقد توعد تعالى قاطع الرحم بألا يدخله الجنة جزاءً وفاقًا على قطعه ما أمر الله به أن يوصل؛ قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»(٢) يعني: قاطع رحم، قال النووي: هذا الحديث يتأول تأويلين أحدهما: حمله على من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها فهذا كافر يخلد في النار ولا يدخل الجنة أبدًا. والثاني: معناه ولا يدخلها في أول الأمر مع السابقين بل يعاقب بتأخره القدر الذي يريده الله تعالى(٣).

بل إنه «**ما من ذنب أجدر أن يعجِّل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدَّخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم**»(٤)، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام.

أبغض الكلام إلى الله قول: عليك نفسك(٥)

قال رسول الله ﷺ: «**إن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل: اتق الله، فيقول: عليك نفسك**»(٦).

اتق الله: اتق الله أي خَفْه واحذره، باتباع أوامره واجتناب نواهيه. عن طلق بن حبيب قال: التقوى أن تعمل بطاعة الله، رجاء رحمة الله، على نور من الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله.

عليك نفسك: عليك نفسك، أي إذا وُعظ الإنسان في مقاله وفعاله، وقيل له: اتق الله، وانزع عن قولك وفعلك، وارجع إلى الحق، امتنع وأبى، وأخذته الحمية والغضب بالإثم،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: إثم القاطع.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/١١٣-١١٤.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠٩٨.

(٥) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٨٧، ٢٥٤.

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: ٢٩٣٩.

أي؛ بسبب ما اشتمل عليه من الآثام. وهذا مثل قول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[1].

هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوًا، ويُكره للمؤمن أن يوقعه الحرج في بعض هذا. وقال عبد الله: كفى بالمرء إثمًا أن يقول له أخوه: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك، مثلك يوصيني! والعزة: القوة والغلبة، من عزَّه يعُزُّه إذا غلبه. وقيل: العزة هنا الحمية، ومنه قول الشاعر:

أخذته عزة من جهله فتولَّى مُغْضَبًا فعل الضَّجِر

وقيل: العزة هنا المنعة وشدة النفس، أي؛ اعتز في نفسه وانتحى فأوقعته تلك العزة في الإثم حين أخذته وألزمته إياه. وقال قتادة: المعنى إذا قيل له: مهلاً ازداد إقدامًا على المعصية، والمعنى حملته العزة على الإثم. وقيل: أخذته العزة بما يؤثمه، أي؛ ارتكب الكفر للعزة وحمية الجاهلية. وقيل: الباء في (بالإثم) بمعنى اللام، أي؛ أخذته العزة والحَمِيَّة عن قبول الوعظ للإثم الذي في قلبه، وهو النفاق.

وقيل: الباء بمعنى مع، أي؛ أخذته العزة مع الإثم، فمعنى الباء يختلف بحسب التأويلات. وذُكر أن يهوديًا كانت له حاجة عند هارون الرشيد، فاختلف إلى بابه سنة، فلم يقض حاجته، فوقف يومًا على الباب؛ فلما خرج هارون سعى حتى وقف بين يديه وقال: اتق الله يا أمير المؤمنين! فنزل هارون عن دابته وخرَّ ساجدًا، فلما رفع رأسه أمر بحاجته فقُضيت؛ فلما رجع قيل له: يا أمير المؤمنين؛ نزلت عن دابتك لقول يهودي! قال: لا، ولكن تذكرت قول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾.

يبغض الله البؤس والتباؤس

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله... يبغض البؤس والتباؤس**»[2]. وقال ﷺ: «**إن الله تعالى... يكره البؤس والتباؤس**»[3].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٤٢.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧١١.

البؤس والتباؤس[1]: البؤس والتباؤس هو إظهار الفقر والحاجة وارتداء الملابس الرثة والبالية والممزقة والخشنة... وإظهار التمسكن والشكاية وإظهار السؤال لغير الله والطلب ممن سواه، والله -عزَّ وجلَّ- يبغض ذلك؛ لأنه جميل يحب الجمال ويحب أن تظهر نعمته على عبده زيًا وإنفاقًا وشكرًا لله تعالى، فهو تارة يكون بالقال وتارة يكون بالحال وتارة يكون بالفعال.

ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تجمِّل ظواهرهم، وتقوى تجمِّل بواطنهم، فهو سبحانه يحب التجمل ويبغض البؤس والتباؤس حتى في اللباس؛ وقد رأى النبي ﷺ رجلاً رث الثياب فقال له: «**هل لك من مال؟**» فقال: من كل المال قد أعطاني الله من الإبل والغنم، فقال ﷺ «**فلْيُرَ عليك**»[2]، أي؛ فليُبْصَر ولِيَظهَر. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا آتاك الله مالاً فلير عليك، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنًا، ولا يحب البؤس ولا التباؤس**»[3].

إن من آثار جمال أفعال الله تعالى الرضى من عباده باليسير من الشكر وإثابة الكثير من الأجر على قليل العمل المدخول، ويجعل الحسنة عشرًا ويزيد من شاء ما شاء ويعفو عن السيئات ويستر الزلات؛ فعلى عباده أن يتجملوا معه في إظهار نعمته عليهم ويتجنبوا أضداد ذلك من إظهار البؤس والفاقة.

يبغض الله الخيلاء في البغي والفخر[4]

قال رسول الله ﷺ: «**إن من الخُيَلاء ما يبغض الله... أما التي يبغض الله فاختياله في البَغْي والفَخْر**»[5]. والخيلاء، أي؛ الكبر والبطر والزهو والتبختر.

اختياله في البغي: نحو أن يذكر الرجل أنه قتل فلانًا وأخذ ماله ظلمًا، أو يصدر منه الاختيال حال البغي على مال الرجل أو نفسه.

(١) انظر: فيض القدير للمناوي ٢/٢٢٥.
(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٣٢.
(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٥٥.
(٤) العظيم آبادي: عون المعبود ٧/٢٣٠.
(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٣١٦.

اختياله في الفخر: نحو أن يذكر ما له من الحسب والنسب وكثرة المال والجاه والشجاعة والكرم لمجرد الافتخار ثم يحصل منه الاختيال عند ذلك، فإن هذا الاختيال مما يبغضه الله تعالى.

وإن من الخيلاء أيضًا إسبال الإزار، فيكون طول لباس الرجل أسفل من الكعبين ويجره خيلاء، فقد قال رسول الله ﷺ: «**وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة**»(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المُسبل، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحَلف الكاذب**»(٢).

والخيلاء والمخيلة هي الكبر وصاحب الكبر على خطر عظيم يوم القيامة حيث يقول رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»(٣)، أي؛ رد الحق وجحده واحتقار الناس وازدراؤهم. ومتى احتقرهم وازدراهم: دفع حقوقهم وجحدها واستهان بها. يقول ابن القيم: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول: التكبر شر من الشرك فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله تعالى، والمشرك يعبد الله وغيره. قلت: ولذلك جعل الله النار دار المتكبرين. كما قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾(٤).

وأخبر أن أهل الكبر والتجبر هم الذين طبع الله على قلوبهم. فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٥).. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾(٦)؛ تنبيهًا على أنه لا يغفر الكبر الذي هو أعظم من الشرك، وكما أن «**من تواضع**

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٤٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه.

(٤) سورة غافر، الآية: ٧٦.

(٥) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ٤٨ و ١١٦.

لله رفعه» فكذلك من تكبر عن الانقياد للحق أذله الله ووضعه، وصَغَّرَه وحقره. ومن تكبر عن الانقياد للحق - ولو جاءه على يد صغير، أو من يبغضه أو يعاديه - فإنما تكبره على الله فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته، ومنه وله، فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله: فإنما رد على الله، وتكبر عليه. والله أعلم»[1].

يبغض الله الغَيْرة في غير ريبة

قال رسول الله ﷺ: «**من الغَيْرَة... ما يبغض الله... أما التي يبغضها الله فالغَيْرَة في غير رِيبة**»[2].

الغيرة في غير ريبة[3]: الغيرة في غير ريبة هي نحو أن يغار الرجل على أمه أن ينكحها زوجها، وكذلك سائر محارمه، فإن هذا مما يبغضه الله تعالى؛ لأن ما أحله الله تعالى فالواجب علينا الرضا به، فإن لم نرض به كان ذلك من إيثار حمية الجاهلية على ما شرعه الله لنا.

أو يغار أحد الزوجين على الآخر ويبالغ في إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن والوهم والشك. والغيرة هي حمية وأنفة وكره شركة الغير، وخوف من أن يحتل الغير مكان الغيور. وقيل إنها مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين. والغيرة قابلة للزيادة والنقصان، وكلاهما مذموم، وغالبًا الغيرة في زيادة عند النساء.

إن الغيرة المذمومة غير الطبيعية أحد الأمراض القاسية التي يمكن أن تصيب الحياة الزوجية.. والغريب أن المدفوع بالغيرة لا يعي أنه مصاب بهذه الآفة الخطيرة، بل إنه يعد غيرته في بعض الأحيان تعبيراً عن الحب، ولا يدري أن الغيرة المذمومة لا تعبر عن الحب وإنما تعبر عن رغبة أنانية في التملك، وهذا عكس مفهوم الحب الذي يقوم على التضحية وإنكار الذات.

(١) مدارج السالكين ٢/٣١٦-٣١٧.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٣١٦.

(٣) راجع: عون المعبود للعظيم آبادي ٧/٢٣٠، وأمراض الحياة الزوجية لسامي محمود ٨٦، والغيرة والخيانة لعادل صادق ١١-٢١.

والغيرة المبغوضة أو الغيرة المشكلة جوهرها وسواس أو مرض نفسي مثل حب التملك والسيطرة؛ وهي ألم يائس غليظ، ودوامات عاتية تشد قارب الحب إلى قاع اليأس، ومرض قاتل يعصف بالوعي ويذهب بالعقل، وصرخات مفزعة جارحة، وأشواك سامة بلا ورود، ولهيب حارق، وإنكار على الطرف الآخر حريته ونضجه ومحاولة السيطرة عليه سيطرة كاملة، والقسوة والتدمير له إذا خرج عن نطاق السيطرة، إنه الحب المدمر.. وأساس الغيرة المشكلة ضعف الثقة بالنفس أو الشعور بالنقص، فتدفع هذه الغيرة صاحبها إلى محاصرة الطرف الآخر ومراقبته والثورة عليه.

إن الإسراف في الغيرة غير الطبيعية يصبح وبالاً على المتصف به، ويبطش به بطشًا؛ فهي تغيظ قلبه، وتقلق نفسه، وتشتت فكره، وتؤرق جفنه. وتصف إحدى النساء أعراض الغيرة فتقول: مشاعر الغيرة متعبة جدًا.. إنها مزيج من القلق والخوف والتوتر والضيق والارتعاش الداخلي والتشنج العضلي، وأحيانًا تضطرب معدتي وتفيض ألمًا، أو يكسر رأسي الصداع وأشعر بسخونة تصعد من قدماي إلى أعلى وبضيق في الصدر واختناق في العنق، ويضطرب صوتي وتختلج عضلات وجهي وأحسها مشدودة متقلصة، ويجتاحني غضب غير محدد الاتجاه.

والغيرة الشديدة المذمومة تدفع صاحبها إلى المعصية بالغيبة والنميمة والإضرار بالغير كما تدفعه إلى الشكوك والأوهام والتخيلات، وإساءة تفسير الحوادث والمواقف. وبالطبع لا يدري من يقع تحت تأثير هذه الغيرة المذمومة أنه يدمر العلاقة الزوجية، ويخنق فيها الحب والحنان والدفء، ولا يمكن لحياة زوجية صحيحة قوية أن تنمو وتسعد في جو من عدم الثقة والشكوك المستمرة.

يبغض الله هذه الضجعة

قال رسول الله ﷺ: «**إن هذه ضِجْعَة يبغضها الله تعالى**»[(١)].

الاضطجاع على البطن: الاضطجاع على البطن هو النوم منبطحًا على البطن والظهر لأعلى، وقال عنها النبي ﷺ في حديث آخر: «**إن هذه ضجعة لا يحبها الله**»[(٢)].

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٢٧١.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٢٢١.

وفي الحديث أن النوم على البطن لا يجوز وأنه ضجعة الشيطان.

ومن جانب صحي فإن النوم على البطن مضر بصحة الجسم، إذ أن القفص الصدري يتمدد للأمام عند التنفس، والاضطجاع على البطن يحد من حركة هذا القفص، ولا يسمح للرئتين بالتمدد الكامل والامتلاء بالهواء، وقد يؤثر أيضًا على حركة القلب وعمل المعدة.

يكره الله سفساف الأمور

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يحب: معالي الأمور، وأشرافها، ويكره سَفْسافها**»(١).

سفساف الأمور: يأتي في مقدمة سفساف الأمور الأمور الدينية وهي كل نهي نهى الله تعالى عنه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ، ومن ذلك: الكفر والشرك والنفاق.

وكذلك الفحش والتفحش والطيش والبذاءة والمراء والجدال والغيبة والنميمة والقيل والقال وكثرة السؤال والثرثرة وإخلاف الوعد والجهل والظلم والشهوة والغضب والشح والبخل وعدم العفة والنهمة والجشع والذل والدناءة والكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه والخسة واللؤم والذل والحرص.

إن الإنسان يضارع البهيمة بالشهوة والدناءة فمن صرف همته إلى السفساف من الأمور ورذائل الأخلاق التحق بالبهائم فيصير إما ضاربًا ككلب، أو شرهًا كخنزير، أو حقودًا كجمل، أو متكبرًا كنمر، أو روَّاغًا كثعلب، أو جامعًا لذلك كشيطان.

يكره الله سفساف الأخلاق

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله... يحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها**»(٢).

سفساف الأخلاق: سفساف الأخلاق؛ أي رديء الأخلاق وحقيرها. ومنها: النفاق الأصغر، ويكون الظاهر خلاف الباطن فيقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويبيتون أمرًا غير الذي يقولون، ويكذبون في أقوالهم وأفعالهم.

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٩٠.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٠٠.

ومنها: الفسوق وهو عصيان أوامر الله - تبارك وتعالى - وارتكاب ما نهى الله عنه.

ومنها: الفجور، والزنى، والسكر، واللواط، والسحاق، والتبرج، والسفور، والاختلاط، والعري.

ومنها: إخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، وغدر العهد، وكذب الحديث، والخصام، والطعن، واللعن.

ومنها: القبيح من القول من السب والشتم والقذف والفحش والبذاءة ونحوه.

ومنها: الاستهزاء بالآخرين وتقليد طريقة كلامهم وحركاتهم.

يكره الله ثلاثة أمور

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»[١].

قيل وقال[٢]: قيل وقال هو الإكثار من الكلام الذي لا فائدة فيه، والخوض في أخبار الناس وحكايات ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم. والإكثار من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت، ولا تدبر، ولا تبين. وقد قال النبي ﷺ: «**بئس مطية الرجل زعموا**»[٣]. الزعم قريب من الظن وأسوأ عادة للرجل أن يتخذ لفظ زعموا مركبًا إلى مقاصده فيخبر عن أمر تقليدًا من غير تثبت فيخطئ ويجرب عليه الكذب. فالإخبار بخبر مبناه على الشك والتخمين دون الجزم واليقين قبيح بل ينبغي أن يكون لخبره سند وثبوت ويكون على ثقة من ذلك لا مجرد حكاية على ظن وحسبان. وفي المثل: زعموا مطية الكذب.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى ﴿**لا يسألون الناس إلحافًا**﴾.

(٢) راجع: عون المعبود للعظيم آبادي ١٣/٢١٤-٢١٥، وفيض القدير للمناوي ٢/٢٢٧، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٢/١١، ومجالسنا إلى أين للمؤلف ٦٩.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٥٨.

وقـد نبه النبي ﷺ في هذا الحديث على وجوب تجنب التبرع بنقل الأخبار لما فيه من هتك الأستار وكشف الأسرار وذلك ليس من دأب الأخيار؛ ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والله سبحانه ستار والستر لا يحصل مع كثرة نقل الأخبار.

قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا، أو ليصمت**»[(١)]، فينبغي للإنسان أن يحفظ لسانه عن الكلام المحرم أو المكروه أو الذي لا خير فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[(٢)]. والمعروف: هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير، وأما ما سوى هذه المصالح التي ذكرها الله -عزَّ وجلَّ- فإن الكلام في كثير منه لا خير فيه والسنة الإمساك عنه.

إضاعة المال[(٣)]: إضاعة المال هو صرف المال في غير وجوهه الشرعية، والسرف والتبذير في إنفاقه في غير حق أو بالتوسع في لذيذ المطاعم والمشارب ونفيس الملابس والمراكب والزينة والزخرفة في المباني ونحو ذلك لما ينشأ عنه من غلظ الطبع وقسوة القلب المبعدة عن الرب، وتعريض المال للتلف وسبب النهي أنه إفساد والله لا يحب المفسدين؛ ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس. قال الله تعالى: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا** ﴿٢٦﴾ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾[(٤)]. فمن أنفق ماله في الشهوات زائدًا على قدر الحاجات وعرضَّه بذلك للنفاد فهو مبذِّر. ومن أنفق درهمًا في حرام فهو مبذِّر.

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ**﴾[(٥)]، وهذا عام في حق كل سفيه صغيرًا كان أم كبيرًا، ذكرًا كان أم أنثى، والسفيه هو الذي يضيع المال ويفسده

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٣) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١١/١٢، وفتح الباري للعسقلاني ٦٨/٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٥-٢١، ١٦٢/١٠، وفيض القدير للمناوي ٢٢٧/٢.

(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥.

بسوء تدبيره. قال ابن عباس: لا تدفع مالك الذي هو سبب معيشتك إلى امرأتك وابنك وتبقى فقيرًا تنظر إليهم وإلى ما في أيديهم؛ بل كن أنت الذي تنفق عليهم. فالسفهاء على هذا هم النساء والصبيان؛ صغار ولد الرجل وامرأته. وقد أجاز الشرع الحَجْر على السفيه الذي يُخشى منه إضاعة المال؛ والسفيه له أحوال: حال يحجر عليه لصغره، وحالة لعدم عقله بجنون أو غيره، وحالة لسوء نظره لنفسه في ماله، ويُخشى منه إتلاف ماله في غير وجه.

وقيل إن من إضاعة المال أن تدفع مالك مضاربة أو إلى وكيل لا يحسن التجارة، ويجهل فاسد البياعات وصحيحها وما يحل وما يحرم منها. أو تدفعه إلى الكفار؛ ولهذا كره العلماء أن يوكِّل المسلم ذميًا بالشراء والبيع، أو يدفع إليه مضاربة، لما يخاف من معاملته بالربا وغيره.

كثرة السؤال[(١)]: كثرة السؤال هو الإكثار من السؤال عما لا يقع ولا تدعو إليه حاجة وكان السلف يكرهون ذلك ويرونه من التكلف المنهي عنه، وقد كره رسول الله ﷺ المسائل وعابها، وقيل المراد به سؤال الناس أموالهم وما في أيديهم، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، وقيل يحتمل أن المراد كثرة سؤال الإنسان عن حاله وتفاصيل أمره فيدخل ذلك في سؤاله عما لا يعنيه ويتضمن ذلك حصول الحرج في حق المسؤول فإنه قد لا يؤثر إخباره بأحواله فإن أخبره شق عليه وإن كذبه في الأخبار أو تكلف التعريض لحقته المشقة وإن أهمل جوابه ارتكب سوء الأدب.

وقيل: كثرة السؤال هي البحث عن أمور مغيبة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها، ومنها ما لا يكون له شاهد في عالم الحس، كالسؤال عن وقت الساعة وعن الروح وعن مدة هذه الأمة، إلى أمثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف. والكثير منه لم يثبت فيه شيء فيجب الإيمان به من غير بحث، وأشد من ذلك ما يوقع كثرة البحث عنه في الشك والحيرة.

---

(١) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١١/١٢، وفتح الباري للعسقلاني ٢٦٧/١٣.

يكره الله التثاؤب

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله... يكره التثاؤب... وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضَحِك منه الشيطان**»[(١)]. وقال ﷺ: «**إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل**»[(٢)].

التثاؤب[(٣)]: التثاؤب هو التنفس الذي يفتح عنه الفم، وهو إنما ينشأ من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس، ويورث الغفلة والكسل وسوء الفهم، ولذا كرهه الله وأحبه الشيطان وضحك منه. وإضافة التثاؤب إلى الشيطان بمعنى إضافة الرضا والإرادة، أي؛ إن الشيطان يحب أن يرى الإنسان متثائبًا؛ لأنها حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه. لا أن المراد أن الشيطان فعل التثاؤب... والشيطان يدعو إلى الشهوات، إذ يكون عن ثقل البدن واسترخائه وامتلائه، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه، وهو التوسع في المأكل وإكثار الأكل.

وأمر بكظم التثاؤب ورده ووضع اليد على الفم لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخوله فمه وضحكه منه. وقوله (فليرده) أي؛ يأخذ في أسباب رده، وليس المراد به أنه يملك دفعه؛ لأن الذي وقع لا يرد حقيقة. ويكون رده بتغطية الفم بالكف إذا انفتح بالتثاؤب أو إذا كان منطبقًا حفظًا له عن الانفتاح بسبب ذلك، ويمكن وضع الثوب ونحوه مما يحصل ذلك المقصود، وإنما تتعين اليد إذا لم يرتد التثاؤب بدونها. وقد شبه التثاؤب الذي يسترسل معه بعواء الكلب تنفيرًا عنه واستقباحًا له، فإن الكلب يرفع رأسه ويفتح فاه ويعوي، والمتثاءب إذا أفرط في التثاؤب شابهه. ومن هنا تظهر النكتة في كونه يضحك منه؛ لأنه صيره ملعبة له بتشويه خلقه في تلك الحالة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: إذا تثاءب فليضع يده على فيه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب: تشميت العاطس وكراهة التثاؤب.

(٣) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٦١٢/١٠، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٢٢/١٨-١٢٣، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ١٧/٨.

وينبغـــي كظم التثاؤب في كل حالة.. وإنما خـــص الصلاة؛ لأنها أولى الأحوال بدفعه لما فيه من الخروج عن اعتدال الهيئة واعوجاج الخلقة. ومما يؤمر به المتثائب إذا كان في الصلاة أن يمســـك عن القراءة حتى يذهب عنه لئلا يتغير نظم قراءته. وقولـــه «**فـإن الشـيطان يدخـل**» فيحتمل أن يراد به الدخـــول حقيقة، وهو وإن كان يجري من الإنسان مجرى الدم لكنه لا يتمكن منه ما دام ذاكرًا لله تعالى، والمتثائب فـــي تلك الحالة غير ذاكر فيتمكن الشـــيطان من الدخـــول فيه حقيقة. ويحتمل أن يكـــون أطلق الدخول وأراد التمكن منه؛ لأن من شـــأن من دخل في شـــيء أن يكون متمكنًا منه.